التاريخ المعاصر
وعلاقته العضوية بالأزمنة الحديثة

د. محمد عبداللطيف البحراوي

ماذا نعنى بقولنا التاريخ المعاصر؟

يبدأ التاريخ المعاصر من حيث يمكن أن تنتهى العصور الحديثة. والانتقال من عصر تاريخى إلى عصر تاريخى آخر. يقتضى المرور بفترة انتقال. تحدث خلالها تغييرات جذرية في نواح شتى في الحياة البشرية. وكما حدث في الانتقال من العصور القديمة إلى العصور الوسطى. ثم في الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة. فإن هناك فترة انتقال أيضا تفصل فيما بين العصور الحديثة والمعاصرة. ومهمة مؤرخ الحديث والمعاصر هى أن يكشف عن هذه الفترة الانتقالية. وعما حدث فيها من تغيرات شاملة. جعلتنا كمؤرخين نعتبرها نهاية لعصر. وبداية لعصر آخر.

★ تعتبر مادة التاريخ المعاصر شيئا جديدا في تاريخ الجامعات بالنسبة لغيرها من فروع التاريخ ومواده التاريخية. وقد يبدو للمؤرخ أو الباحث المتمكن أن هناك تناقضاً ما بين معنى كلمتى : تاريخ معاصر. فكلمة تاريخ تعنى حقائق علمية. والحقائق العلمية لا تتحقق إلا في مناخ تنعدم فيه المؤثرات أو تكاد. ونعنى بالمؤثرات العوامل التي قد تقلل من دقة هذه الحقائق. أو تعوق وضوحها وثباتها. كما تفعل الشوائب بالنسبة للعناصر العلمية المادية. وهذا التناقض يمثل إحدى الصعاب الهامة التي تتميز بها دراسة التاريخ المعاصر. فكيف تكون إذن الأزمنة المعاصرة تاريخاً؟

والفترة الزمنية التي يصطلح المؤرخون على تحديدها للتاريخ المعاصر هي فترة متحركة غير ثابتة، لأن عصر التاريخ الحديث يزحف نحوها باستمرار ويأخذ منها، لأن كل جزء من فترة التاريخ المعاصر تزول عنه المؤثرات المعوقة أو تكاد، وتتوفر عنه الوثائق اللازمة لدراسته وتحليله، فإن هذا الجزء يصبح تاريخاً، وبالتالي فإنه يصبح تاريخاً حديثاً.

وعلى ذلك فإن التاريخ المعاصر يفقد أجزاء من خلفيته باستمرار ويزحف للأمام بتوالي الزمن، وتتبعه في هذا الزحف عصور التاريخ الحديث، ولذلك فإنه ليس في الجامعات أستاذ للتاريخ الحديث، وأستاذ آخر للتاريخ المعاصر، بل إن فيها أستاذاً للتاريخ الحديث والمعاصر، أو أن هذا هو الذي يجب أن يكون.

والفترات الانتقالية فيما بين عصور التاريخ الرئيسية فترات متداخلة، أو بمعنى آخر فترات ينقصها النقاء التاريخي، فالحقبة الفاصلة بين العصور القديمة والوسيطة، ليست قديمة خالصة، وليست وسيطة نقية، بل هي فترات مختلطة، وكذلك تلك التي تفصل فيما بين العصور الوسيطة والحديثة.

وعلى هذا فإن فترة الانتقال فترة انسلاخ، كما ينسلخ النهار من الليل، أو كما ينسلخ الشتاء من الصيف، ومن هنا فنحن نقول : انه لا ينبغي أن يشار إلى انتهاء عصر أو بدء عصر تاريخي بسنة معينة.

كنا منذ فترة نقف بالتاريخ الحديث عند مقدمات الحرب العالمية الأولى. فلما كانت الحرب العالمية الثانية، وما تلاها من تحولات شاملة في النواحي العسكرية والسياسية والعلمية والاجتماعية، فقد رئي الزحف بالأزمنة الحديثة حتى مقدمات الحرب العالمية الثانية. ومن ثم أصبحت الفترة فيما بين الحربين العالميتين تاريخاً حديثاً.

ومعنى هذا القول أن الأزمنة المعاصرة أزمنة متغيرة من الناحية الزمنية، أو بمعنى آخر من حيث البداية والنهاية، وتشبهها في هذا الأزمنة الحديثة من حيث النهاية، بينما تختلف عن ذلك الأزمنة القديمة والعصور الوسطى، باعتبارها أزمنة مغلقة.

ويتضح من هذا العرض أن دراسة التاريخ المعاصر دراسة صعبة، تكتنفها مصاعب جمة،

منها انعدام الوثائق أو قلتها أو عدم الوثوق فيها، وخاصة فيما يتعلق بما نسميه : الموضوعات الحية، مما يضطر الباحث إلى الاعتماد على ما نسميه بالدوريات، ونقصد بها الصحف والمجلات والنشرات، وقد يعتمد الباحث على ما يراه ويسمعه بنفسه، وعلى ما يسجله من وقائع يومية، كما كان يفعل كتاب الوقائع في العصور السابقة.

والأزمنة المعاصرة فترة مزدحمة في تاريخ البشرية بالأفكار والمبادئ والصراع، مما يستوجب على مؤرخ هذه الأزمنة أن يكون ذا قدرة على التجول والحياد، والفصل بين الذات والموضوع، وأن تكون لديه المقدرة على الموازنة مثلاً بين الوطنية والقومية من ناحية، وبين التعاون الدولي من ناحية أخرى، وغير ذلك من الأمور المتداخلة التي تتميز بها الأزمنة المعاصرة.

وكما أن ندرة المادة قد تكون إحدى مصاعب التأريخ للأزمنة المعاصرة، فقد تكون كثرة التفاصيل وتدفق المعلومات من الضخامة بحيث لا يمكن السيطرة عليها، وبينما الباحث في الحالة الأولى مضطر للبحث عن المادة، فهو في الحالة الثانية يحتاج للقيام بعملية اختزال وفرز، أو بمعنى آخر عملية تصفية، ويترتب على هذا كله أن أبحاث المؤرخ المعاصر لا بد أن تأتى أقل دقة وثباتاً من أبحاث زملائه مؤرخى العصور الأخرى، بمعنى أنها قد لا ترقى لمرتبة التاريخ.

وقد أدت غزارة المعلومات وتدفقها إلى قيام تنظيمات عالمية لأول مرة لا تستند إلى قوة عسكرية أو سياسية، مثل نادى روما، الذي هو عبارة عن فرق متخصصة في الدراسات والأبحاث تعتمد على بنك للمعلومات يختزن مئات الآلاف من المعلومات والإحصاءات ويتم تشغيله إليكترونياً، واكتسب ذلك النادى شهرة علمية عالمية من دراسة نشرها بعنوان : حدود النمو، وغيرها، ومثله المعهد الأطلسى للشئون الدولية، الذي يتكون من رجال دول وأعمال وأساتذة لإجراء بحوث في كل ما يتعلق بالعلاقات الدولية، وتشبهه في هذا اللجنة الثلاثية، وأعضاؤها من أوربا وأمريكا واليابان، وصدر عنها في ١٩٧٥ بحث عن : نقطة التحول في العلاقات بين الشمال والجنوب، وكذلك منتدى العالم الثالث وهو يضم الكفاءات الذهنية المجردة من التبعية الفكرية من أجل تجاوز التقدم المادى إلى القيم الحضارية والاجتماعية المعاصرة.

✱ لماذا تعتبر الأزمنة المعاصرة أزمنة عالمية؟

قلنا إن التاريخ المعاصر امتداد عضوي للتاريخ الحديث، والأزمنة الحديثة أزمنة عالمية. فقد كانت الفترة الانتقالية بين العصور الوسطى والحديثة حافلة بأحداث عالمية، نعتبرها نحن المؤرخين : أصول العالم الحديث، ففى منتصف القرن التاسع الهجرى، الخامس عشر الميلادى، سقطت القسطنطينية في أيدى الأتراك العثمانيين، وانهدم الجدار الشرقى للمسيحية في أوربا، وزالت إمبراطورية لها تاريخها الطويل من خريطة العالم، هي الإمبراطورية البيزنطية، أو الرومانية الشرقية، وذاك عصر كانت تسقط فيه الدولة بسقوط عاصمتها، وهو حادث هز التاريخ من جذوره، وأخذ الإسلام يوطد أقدامه في البلقان، ويتحرك غربا لاختراق أوربا من مشرقها إلى جنوبها الغربى، إلى الأندلس، وأتى تاريخ العثمانيين في عصرهم الأول، كتجربة فريدة ناجحة لتطبيق النظم الإسلامية في مطلع العصر الحديث، وفي دولة مركز الثقل فيها في البلقان، وعرفت أوربا أن المسلمين قوة ثابتة الدعائم في أوربا، خلافاً لمرات الحصار الوقائية العربية للقسطنطينية في العصور السابقة⁽¹⁾.

وفي أواخر ذلك القرن سقطت غرناطة، وكان عصر التوسع الأوربي، أو عصر الكشوف، أو عصر الاستعمار الأوربي الحديث، أو الحروب الصليبية في العصر الحديث، ووصل التهديد الصليبى لأول مرة في التاريخ إلى جنوب العالم الإسلامي، أو بمعنى آخر إلى البحار الإسلامية، وانفتح تاريخ البحرية على مصراعيه، وأضحى تقدم البحرية وتطورها والتحكم في البحار هو أساس عالمية العصر الحديث⁽²⁾. وكذلك الأزمنة المعاصرة.

وقد اشرنا إلى أن مقدمات الحرب العالمية الأولى كانت بداية لفترة انتقال من العصر الحديث إلى الزمن المعاصر، ثم حدث الزحف التاريخى الذي أشرنا إليه، وصارت مقدمات الحرب العالمية الثانية هي البداية لفترة انتقال أخرى، وهنا نشير إلى أنه ينبغى أن نعى معنى تسمية الحرب التي قامت في ١٩١٤م بأنها حرب عالمية، وكذلك الحال بالنسبة للحرب التي اندلعت في ١٩٣٩م، وتلك تسمية لم تطلق أبدا في التاريخ على حروب سابقة.

ونحن إذا نظرنا إلى تاريخ الاستعمار الأوربى الحديث كحركة في التاريخ، فإنه يمكننا أن نتصوره كحركة من أوربا إلى المستعمرات، بمعنى أن المستعمرات مناطق اكتشفها المكتشفون، وانتقل إليها المستعمرون من أوربا في العصر الحديث، أما في خلال هاتين الحربين العالميتين، فقد

حدث ما يمكن أن نسميه بالحركة المضادة. حين أخذت أوربا بفكرة الجيوش الملونة، ونقلت قوات من سكان المستعمرات إلى أوربا عبر نفس البحار والمحيطات. وتلك حركة أحدثت تحولات جذرية أخذت طابعاً عالميا. كان من أهمها بدء انحسار الهيمنة الأوربية واستقلال المستعمرات(٣).

لكننا لا نوافق المؤرخين الأوربيين في نظرتهم للأزمنة الحديثة والمعاصرة على أنها تاريخ أوربي. صحيح أن الأزمنة الحديثة يبدو فيها ما كان لأوربا من تأثير على تطورات التاريخ. أو كما قلنا التاريخ العالمي. حتى أصبحت كلمة أوربا لا تدل على المعنى الجغرافي التقليدي. وإنما أصبح معناها تاريخيًّا : تطور تاريخي هائل كان مركزه في أوربا.

قلنا إن حركة الكشف والتوسع والاستعمار الأوربي قد اقترنت بروح المقاومة ضد الإسلام. التي هي امتداد لذلك الصراع الهائل في شبه جزيرة أيبريا، وهي ما نسميها بالروح الصليبية في العصر الحديث. لكن تطور الحركة البروتستنتية فرق العالم المسيحي. وحول كثيرا من طاقة أوربا المسيحية إلى الحروب الأهلية في أوربا ذاتها.

وتلا ذلك تحول آخر بسبب معركة ليبانتو البحرية التي دمرت فيها قوة الدولة العثمانية البحرية. وربَّ مؤرخ يقول ان الدولة العثمانية ظلت بعد ليبانتو قوية عاتية. لكن أوربا المسيحية لم يعد بداخلها ذلك الخوف من العثمانيين. أو بمعنى آخر من الإسلام. ومن ثم حلت روح التنصير ونشر المسيحية محل ما أسميناه بالروح الصليبية. أى أن أوربا أخذت تتجه إلى فتح عقلي وثقافي وغزو فكرى تستكمل به غزوها العسكرى والسياسى. ثم طغت التجارة على الدين في أوربا المسيحية حتى كانت الثورة الفرنسية التي غيرت العلاقة الفكرية بين أوربا وكل من آسيا وإفريقيه.

وهنا يجب أن نشير إلى دور الإسلام كأهم عامل من عوامل المقاومة ضد الاستعمار الأوربي. وخلال عصور الاستعمار الطويلة كان للإسلام الفضل الأكبر في تحطيم كل مشروعات الاستعمار بالنسبة للسكان المسلمين في المستعمرات. وظلت الشخصية الإسلامية سليمة على الرغم من محاولات الاستعمار المتعددة والمختلفة الأشكال لهدم هذه الشخصية(٤). والإسلام هو الذي أعطى للدولة العثمانية هذه القوة الخارقة وذلك التماسك الذي حير الأوربيين

على مدى تاريخها الطويل.

وليس أدل على قوة الدولة العثمانية وتماسكها من أن هذا الغزو الفكرى تأخرت نتائجه أكثر من قرن ونصف، أى حتى بدء عصر السلطان عبدالمجيد، وكانت الدولة قد أصبحت كما يقول المؤرخون : عارية، بعد أن قضى أبوه السلطان محمود الثاني علي يكى جرى، الإنكشارية، ثم انتهزت أوربا المسيحية فرصة الأزمة التي مرت بها الدولة بسبب حروب محمد علي في الشام، وضغطت على السلطان عبدالمجيد فأصدر الخط الشريف الهمايونى، أو ما يسمى بمنشور كلخانه، لأنه قرئ في قصر كلخانه أى سراى الزهر.

ويعتبر هذا الخط أول تنظيم شبيه بالنظم الأوربية، قام على صياغته وإصداره مصطفى رشيد باشا الذي كان سفيرا للدولة في باريس ولندن ثم كان وزيرا للخارجية، والذي تصفه المصادر الأوربية بالاستنارة والليبرالية، والذي تأثر إلى حد بعيد بالمستشرق الفرنسى Sacy ، وأخطر ما في هذا الخط هو إعطاء الذميين نفس أوضاع المسلمين، فهو يمثل بدء إصدار أوامر سلطانية لا تستند إلى حجة شرعية أو فتوى، وفي أعقاب حرب القرم أصدر السلطان خطا آخر، هو في مجموعه تأكيد لما جاء في منشور كلخانة، ومعنى هذا أن هذا الخط قد مس التقاليد العثمانية مسا خطيرا، وتناول الشريعة الإسلامية بالتحريف، ومعناه من الناحية التاريخية انحراف الدولة عن قواعدها الأصلية (٥).

وهكذا اتخذت الدول الأوربية في غزوها الفكرى للدولة مسألة الطوائف غير الإسلامية ذريعة للتدخل في شئون الدولة، ولما حاول السلطان عبدالعزيز الرجوع والعمل على الاستقرار، أبت عليه أوربا ذلك واتخذت الدول الأوربية الأزمة المالية كعامل جديد للتدخل، وبرز على مسرح الأحداث في هذه الفترة مدحت باشا الذي تنقل إلى لندن وباريس وبروكسل وعين صدرا أعظم، وتمكن هو وزملاؤه من الحصول على فتوى بعزل السلطان عبدالعزيز بحجة عجزه عن إدارة الدولة، وكانت النتيجة كما يقول المؤرخون : « وقوف الدولة في منتصف الطريق »، أى بين الإسلام وأوربا.

أدت هذه التطورات إلى أن يستهل السلطان عبدالحميد الثاني عهده بتعيين مدحت باشا صدراً أعظم وبإعلان الدستور أو المشروطية Ilk Meshrutiyet Devni التي نصت

على إقامة حكومة برلمانية، وبرلمان من مجلسين : مجلس النواب أو المبعوثان ومجلس الأعيان أو الشيوخ(٦).

ومع هذا اشتبكت روسيا مع الدولة في حرب ١٨٧٧ أجبرت فيها الدولة على قبول معاهدة San Stefano وفقدت فيها الدولة بلغاريا وقارص وباطوم، لولا أنها ألغيت في مؤتمر برلين ١٨٧٨، واشتدت أحداث الفتنة الأرمنية ووقعت أعمال إرهابية أرمنية في عاصمة الدولة، فأوقف السلطان المشروطية وفض البرلمان ونادى بالجامعة الإسلامية، وتلك هي الحركة التي يشير إليها بعض الكتاب بعبارة الانقلاب الحميدى(٧).

ولعل من أهم المؤرخين الأوروبيين الذين تناولوا دراسة هذه الفترة دراسة تاريخية Devereux في كتابه : The first Ottoman Constitutional Period الذي يرى فيه أن مرور الدولة بالأزمات المتوالية هو الذي جعل بعض العثمانيين يعتقدون أن الحل هو إقامة حكومة على النسق الأوربى وخلق نوع من التعاون بين المسلمين في الدولة لتجنب تدخل الدول الأوربية، وهؤلاء كانوا دستوريين لا حباً في الدستور في حد ذاته، ولكنهم رأوا فيه حلاً لأزمات الدولة الخارجية والداخلية.

ويعلق Albert Lyber في كتابه : The Turkish Parliament على ذلك فيقول إن مشاركة الشعب في الحكم ليس شيئا جديدا على الدولة العثمانية، لأن الشريعة الإسلامية نفسها ديموقراطية بأوسع معانى الكلمة وضد الاستبداد.

وترتبط التطورات التاريخية في هذه الفترة بالطورانية أو القومية التركية وتركيا الفتاة أو عثمانلى تركى واتحاد قوميتى، وكان برنامجها حسب ما جاء في جريدتهم مشورت التي كانوا يصدرونها في باريس : الأخذ عن الغرب والعثمنة أى التتريك والمركزية، ولما أعاد السلطان عبدالحميد الثاني المشروطية واجتمع البرلمان الجديد، كان إلى جانبهم حزب الأحرار الذي دعا للامركزية، وكان عدد من زعمائه من المسيحيين الذين سمح لهم بدخول البرلمان، وكرد فعل لكل ذلك قام حزب الاتحاد الإسلامي الذي كان يرى في المشروطية خروجا على الشريعة الإسلامية(٨).

وقد تحدث الكثيرون عن هذه الفترة، وعما أسموه باستبداد عبدالحميد والحريات والليبرالية وأنصار الحرية وغير ذلك، وحين أصدر السلطان المشروطية وصفوه بأنه نصير الحرية. وحين أوقفها قالوا إن ذلك اضطهاد للحريات والأحرار والحركة الدستورية، ولكننا كمؤرخين يجب ألا تستهوينا هذه الكتابات، وإنما يجب الحكم عليها في ضوء الحقائق التاريخية الآتية :

الأسس التي قامت عليها الدولة العثمانية ومن أهمها الروح الجهادية، والنظم الإسلامية، وموقف الدول الأوربية والطوائف غير الإسلامية في الدولة من الدولة.

وبسقوط الدولة في أعقاب الحرب العالمية الأولى نجحت أوربا في غزوها الفكرى أقصى نجاح، والذي يعنينا في زماننا المعاصر أن هذا الغزو الفكرى للدولة العثمانية ما زال حيًّا نشهده في كثير من المؤلفات العربية التي أنتجتها عقليات استمدت ثقافتها مما تترجمه دون وعى من مراجع أوربية، وزاد الأمر تفاقماً قلة الإلمام بالثقافة الإسلامية، والحاجز اللغوى المتمثل في عدم الإلمام باللغة التركية، وكأن الدولة العثمانية عند بعض المؤلفين ما هي إلا الحريم والخصيان، وصدور الدستور أو وقفه، تماماً كما كان يكتب دعاة الغزو الفكرى، مما جعل تصحيح تاريخ الدولة العثمانية واجباً حتميًّا.

تلك هي التطورات التاريخية التي أدت إلى أن يشهد مطلع التاريخ المعاصر غياب الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية، وليس أدل على ذلك من حيث المعنى التاريخي من ذلك العنوان الذي أعطاه Garnier في كتابه : "La Fin de L'Emp. Ott."

عنوانا لأحد فصوله وهو :.La Republique Kamaliste Ou Le Choix de L'Occident

وفي هذا المجال أيضا يجب أن نخلص من دراستنا لتاريخ انتشار الإسلام في أوربا وآسيا وإفريقية، وتاريخ الاستعمار الأوربى في العصر الحديث، إلى المقارنة بين انتشار العرب والمسلمين في هذه القارات وانتشار الأوربيين في إفريقية وآسيا، وأن نستكشف ونكشف فضل العرب والمسلمين ومساعدتهم للإفريقيين والأوربيين والأسيويين على النهوض والتقدم، وبناء الحضارات والاعتراف للإفريقيين بحق الأخوة بل والطاعة للحكام منهم، وأن الناس جميعا متساوون وأنه لا فضل لأبيض على أسود⁽⁹⁾.

ونتيجة لذلك استعرب كثير من الإفريقيين. وانتسبوا إلى جذع العرب العظيم. ففى السنغال وغانة مثلاً قبائل إفريقية أصيلة اتخذ أفرادها نسباً عربيا، ولا يهمنا من موضوعنا هذا أن نبحث إذا كان ذلك صحيحاً أم غير صحيح، وإنما الذي يهمنا هو اعتزازهم بذلك النسب، ولعل اتجاه أكثر الدول الإفريقية المستقلة حديثا إلى تعزيز صلاتها بالعالم العربي هو اعتزاز بما للعروبة والإسلام من دور عظيم في تاريخ إفريقية. وينطبق هذا أيضا على تاريخ المناطق التي انحسر عنها الإسلام في العصر الحديث كنظام للحكم في آسيا. وتاريخ العرب والمسلمين في شبه جزيرة أيبريا، وفي هذا المجال يمكننا أن نعلل ذلك التعاطف الذي يبدو من بعض دول أمريكا اللاتينية المعاصرة نحو القضايا العربية والإسلامية.

أما الأوربيون فقد أوجدوا الادعاء بسيادة الرجل الأبيض والاحتكار والاستغلال والتحكم. وخربوا المدن والقرى. بل وخربوا المجتمعات ذاتها، ونزلوا بسكان المستعمرات إلى مرتبة العبيد. اى أنهم أعادوا تاريخهم القديم. ونظمهم الرومانية والإغريقية في المستعمرات في العصر القديم. إلى آسيا وإفريقية في العصور الحديثة. بل وفي التاريخ المعاصر كذلك. وغير هذا مما أشار إليه أحدهم وهو دزموند موريس في كتابه « مجتمعنا حديقة حيوانات بشرية »(١) . وفي الفصل الرابع من كتابه هذا اعترف بأن البشرية انقسمت بفعل الاستعمار الأوربي إلى ما أسماه « جماعات داخل النطاق وجماعات خارج النطاق » مشيرا بذلك إلى الأخلاق العنصرية الأوربية. وحين انتقل إلى الكلام عن تجارة الرقيق إبان عصر الكشف والتوسع والاستعمار. أثبت أنها قامت على أيدى دول أوربية متحضرة تدين بالمسيحية.

فلما حدث التقدم العلمى في أوربا. وما يسمى بالانقلاب الصناعى الأول والثاني في أوربا وأمريكا. وقلّت الحاجة إلى أيدى الرقيق العاملة. تظاهر الاستعماريون بالنزعة الإنسانية في مجالين :

أحدهما إعادة الأرقاء الإفريقيين من أوربا وأمريكا إلى وطنهم الأصلى إفريقية ومن ثم قامت سيراليون وليبريا.

وثانيهما النص في معاهدات الحماية الاستعمارية على إبطال تجارة الرقيق.

وهذا الذي جرى في العصر الحديث هو الذي أدى إلى وجود عالمين في التاريخ المعاصر، لا عالم واحد، فقراء وأغنياء(١١).

إن التحول إلى البحر وتقدم علوم الملاحة ما كان يتحقق للأوربيين لولا دراستهم المستفيضة لعلوم المسلمين في مطلع العصور الحديثة، وعلى الأخص مؤلفات شهاب الدين أحمد بن ماجد العمانى، صاحب : الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، وكذلك مؤلفات سليمان بن أحمد المهرى صاحب تحفة الفحول، والعمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، والمنهج الفاخر في علم البحر الزاخر، وفي خلال الصراع بين العالم الإسلامي والاستعمار الأوربي الحديث في البحار الإسلامية، واصل قادة البحر العثمانيون تطوير علوم البحار، يتضح ذلك في : سليمان ريس لايحه سى، وفي مرآة الممالك، والمحيط لسيدى على ريس، وفي مرآة الزمان لمراد ريس، وكان بيرى ريس أشهر رسام جغرافي لخرائط البحار، وكان للدولة العثمانية كدولة إسلامية كبرى فتية أثر فعال في التطورات التاريخية العالمية لا يقل عن أثر أوربا، بل يزيد عليه في عصر عظمة الدولة، فالأزمنة الحديثة أزمنة عالمية، وهي في نفس الوقت أزمنة إسلامية ـ أوربية(١٢).

وهكذا يمكننا أن نقول إن أهم الظواهر التاريخية في الزمن المعاصر هي نتائج لأسباب في العصر الحديث، أو بمعنى آخر هي ردود فعل لأفعال حديثة، مما يستوجب على الباحث في الأزمنة المعاصرة أن يرجع بهذه النتائج إلى أسبابها، أو بردود الفعل إلى الأفعال المتعلقة بها.

فالحربان العالميتان مثلاً كانتا حدثين مدمرين، ولذلك كان السلام والحديث عن السلام في أعقابهما، وكانت الحروب الصغيرة من جانب الدول الكبرى وحروب الاستقلال التي خاضها سكان المستعمرات، وكانت عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة كتنظيم دولى لتسوية النزاعات ومنع الحروب، وكان لما أشرنا إليه من صفة العالمية للعصور الحديثة والمعاصرة أن المفكر نفسه قد اتخذ الصفة العالمية، وأدى هذا بدوره إلى وجود مؤرخين اكتسبوا هم أيضا هذه الصفة، من هؤلاء Bernard L. L. ، صاحب كتاب : War and its Causes

والذي بلغ من وضوح الرؤية أمامه أنه تنبأ في الجزء الأول من مؤلفه هذا باندلاع الحرب العالمية الثانية، وهو الذي فسر الحرب بكونها إحدى الظواهر الطبيعية، شأنها شأن الزلازل

والعواصف وغيرها، وخلص من ذلك إلى المناداة بتنظيم أممي أو ولايات متحدة عالمية أو الدولة العالمية.

وانقسام العالم المعاصر إلى مجموعتين أو كتلتين أو معسكرين هو انقسام اختلف عن الانقسامات التاريخية السابقة. واتسع ذلك الانقسام بوجود أمم نبذت التبعية لأي من الكتلتين بمعنى أنها لا تنحاز، وهذه الأمم الغير منحازة اعتبرت التعايش السلمي هو النموذج الأفضل في العلاقات الدولية المعاصرة(١٣).

كذلك عرف العالم المعاصر ما سمي بالحرب الباردة، تلك الحرب التي اتخذت صوراً مختلفة، ووجد المؤرخ المعاصر صعوبة في أن يضع يده على الخط الفاصل بين الكتلتين. وتعتبر مشكلة كوريا وثورة المجر، وأزمة كوبا، وقضايا الشرق الأوسط تطبيقات عملية لهذه الحرب، وبينما كان مشروع مارشال لإعادة الحياة والتوازن لأوربا الغربية، فقد كان في المقابل تكوين الكوميكون، أو مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة.

وتعتبر التطورات التاريخية المعاصرة بين كل من ألمانيا وفرنسا، والمتمثلة في قدرة كل منهما على التغلب على الذكريات التاريخية في العصر الحديث، أقوى دليل على الانتقال من العصر الحديث، عصر ازدهار القوميات، إلى الزمن المعاصر، عصر التكتل الأكبر، أو بمعنى آخر عصر ما فوق القومية، وخير مثل تطبيقي على هذا قيام منظمة ومعاهدة شمال الأطلسي
N. A. T. O North Atlantic Treaty Organisation
ويسميها الفرنسيون O. T. A. N Organisation Traité Atlantique North
وهذه المنظمة لعبت دورا تاريخيا في إضعاف النزعة القومية فيما أسموه بالأسرة الأطلسية.

ليس هذا فحسب، بل إن ديناميكية التاريخ المعاصر تصل إلى ما هو أكثر من ذلك، حتى أنه في وقت من الأوقات تبدو الظواهر التاريخية المألوفة مقلوبة، وتبدو بعض القوى المعروفة في الأزمنة الحديثة كأنها قد غيرت مواقعها، وإذا العالم أمام المؤرخ المعاصر كأنه عالم آخر.

ومع أن أوربا كانت لها الهيمنة في كثير من فترات العصر الحديث، فإنها ليست كذلك في الأزمنة المعاصرة، ولذلك قيل إن أوربا المعاصرة ليست سيدة ولا حتى في دارها، وكان التدمير البالغ السرعة في الحرب العالمية الثانية والحاجة الملحة للتعمير من الأسباب التي ألزمت أوربا

بالموازنة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية فيما بعد الحرب العالمية الثانية. وهي مرحلة إعادة البناء، مما جعل السلام شعاراً حقيقيا في هذه المرحلة من التاريخ الأوربي. وتلك هي فترة التقهقر العظيم لأوربا، قياساً على التقهقر العظيم لنابليون أثناء انسحابه من موسكو في العصر الحديث.

وقد أعطانا المؤرخ اليابانى المعاصر نيسا موريس سوزوكي في كتابه : شووا ـ التاريخ الداخلي لليابان في الربع الثاني من القرن العشرين (١٥) نموذجاً آخر مشابهاً. وشووا كلمة يابانية معناها : السلام المشع، حدثنا عنه في مرحلتين متتاليتين ومختلفتين تمام الاختلاف. في أولاهما كان السلام مجرد شعار وستار. خاضت فيها اليابان سلسلة من الحروب احتلت فيها كوريا ومنشوريا واشتبكت في قتال ضار مع الصين، ثم مع الولايات المتحدة الأمريكية، حين تحركت طائرات يابانية تجاه الأسطول الأمريكي المخصص للباسيفيكي والذي كان يرسو في ميناء بيرل هاربور في جزر هاواي. وبعد ساعتين كانت سفن هذا الأسطول تستقر في قاع الميناء. واضطرت الولايات المتحدة أن تشترك في الحرب على أوسع نطاق. وهكذا تمضى اليابان إلى أن وصلت إلى الكارثة النووية الشهيرة في كل من نجازاكي وهيروشيما في عام ١٩٤٥. ومن ثم انقلب التيار لكى يكون السلام شعاراً حقيقيًا عن طريق التجارة والصناعة والتعليم وتصدير خبرة فنية بالغة التقدم. وقدم لنا ذلك المؤرخ اليابانى خطة فريدة في بحثه إذ أنه جعل كتابه يحكى قصة تطور السلام إلى شعار حقيقى في اليابان من خلال سيرة حياة ثلاث شخصيات يابانية لمواطنين عاديين. وكيف انعكس السلام عليها في المرحلة الثانية مما جعل حياتهم جزءا من نجاح السلام ومن مكاسبه.

وفي الزمن المعاصر شاع تعبير : العالم الثالث. وبنظرة للخريطة نرى أن العالم المقصود بهذا التعبير يكاد ينحصر بين المدارين. بينما توجد الأمم المتقدمة أو الغنية في النطاق المعتدل. ولذلك وجد من يقسم العالم المعاصر إلى الشمال والجنوب. يفصل بينهما البحر المتوسط.

ولما كانت دول العالم الثالث لا تشكل كتلة ذات نظام سياسى موحد. فلا يمكن إذن اعتبار العامل السياسى هو علة هذه التسمية. ويرجح فريق من المؤرخين المعاصرين أن التعبير يرمز إلى مجموعة ثالثة تكونت تاريخيًا. وأنها نشأت عن انحسار موجة الاستعمار

Décolonisation . ويؤكد هذا أنه يشار إليها أحيانا بأنها الدول الحديثة العهدبالاستقلال. أى أنها كانت فيما مضى مستعمرات. وتميل المدرسة التاريخية الفرنسية المعاصرة إلى تفسير العالم الثالث أو Tiers بأنها بمعنى كلمة Littré أى أنه عالم آخر يختلف عن الكتلتين المعروفتين، وهم يرون أحيانا أنه تعبير مرادف للطبقة الثالثة في الثورة الفرنسية. وقد ناقش هذه التسمية : P. Jalée: Le Pillage du Tiers Monde.

وحدد تاريخ ظهورها وهو عام١٩٦٠م وقال إنه عالم لا يدخل ضمن النظامين الرئيسيين في العالم المعاصر، بينما يرى Rostow في كتابه : The Stages of Economic Growth

أنه يمكن فهم هذا التعبير إذا اتخذنا التطور التاريخى الاقتصادى معياراً لذلك. إلا أن Piatier في Equilibre entre le développement Economique et développement Social.

يقرن معنى هذا التعبير بالتخلف المشابه للوضع في أوربا قبل التقدم العلمى والثورة الصناعية. لكن Kuznets في : Under developed Countries and preindustrial Phase in the advanced Countries.

قرن هذا التعبير بالتخلف الناتج عما أسماه الانتفاخ أو التورم المستمر في العالم الثالث. أى بالانفجار السكانى.

ويربط Balandier في كتابه : Conséquences Sociales du progrés Technique dans les pays sous - developpés.

وجود العالم الثالث بالاستعمار قائلا إنها ظاهرة تاريخية استعمارية. وكان Clark أكثر صراحة فيما كتبه في : Les Conditions du Progré Economique.

حين قال إن هذا التعبير يجب أن يتغير إلى تعبير آخر يدل على الواقع التاريخى المعاصر بأن نقول : إنها البلدان التي كانت تحت سيطرة الآخرين والتي ورثت من هؤلاء الآخرين اقتصاداً مشوهاً. ودعا هذه البلدان إلى أن تدخل في نوع من الوحدة والتحالف ضد من سبق أن استغلوهم. والسؤال الملحّ في عالمنا المعاصر :

كيف السبيل لأن تجتاز دول العالم الثالث هذه الفجوة؟.

إننا كعالم إسلامي لا ندخل في نطاق هذه التقسيمات ولا تلك المسميات. فنحن عالم يرتكز

إلى عقيدة لها الهيمنة الفكرية في كل هذه العصور التاريخية. ولها مجد تاريخي. كتطبيق مجيد لهذه العقيدة والنظم المتعلقة بها. وقبل ذلك رفضنا اصطلاح الشرق الأدنى والأوسط. وقلنا نحن العالم العربي(١٦). والآن نعلن بكل ثقة وجدارة أننا العالم الإسلامي.

وفي تاريخنا المعاصر. نرى كمؤرخين. أن العالم قد أخذ يتحول عن كثير من الظواهر التاريخية في العصر الحديث. ويستجيب لتلك اليقظة الإسلامية في العالم الإسلامي. بل وفي كل أنحاء الدنيا المعاصرة.

فالاستشراق الذي اتخذ في العصر الحديث أداة لكى يفرض بها الغرب نفسه على غيره، في صورة غير صادقة لهذا الغير. والذي بدأ كهواية ثم تحول إلى حرفة. واضعاً نفسه في خدمة الاستعمار الغربى. والذي أخذ في توظيف المعرفة بالعالم الإسلامي والشرق عامة لخدمة السيطرة الاستعمارية الأوربية. والذى بذل جهده لإرغام العالم على أن يعتقد أن كلمة الشرق مساوية لمعانى التخلف. وأن كلمة الغرب معناها التحضر والتمدين سعيا وراء تقويض البنية الاجتماعية وإعدادها للتحول نحو نموذج غربى. هذا الاستشراق قد أخذ يظهر في التاريخ المعاصر بمظهر جديد هو تحرير الاستشراق من الأغراض الاستعمارية والتنصير والاتجاه إلى أغراض البحث العلمي. والسعى إلى محاولة اكتشاف كنوز التراث الإسلامي. ومن ثم كان الاعتراف المتوالى بأن حضارة الإسلام كانت ذات أثر حاسم في إقامة الأساس الذي انبثقت عنه الثقافة والحضارة الغربية الحديثة. ولعبت كليات الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية دورا حاسما في هذا المجال. ومن ثم فنحن نلاحظ كمؤرخين للعصور الحديثة والمعاصرة أن هذا التحول لم يلحظه نفر ممن لا يزالون لا يرون في الاستشراق إلا صورته السابقة التقليدية. ومداها الزمنى في العصر الحديث.

لذلك ليس عجبا أن نرى في ثنايا هذا التحول الجذري العميق والذي نسميه الاستشراق الجديد. مؤرخين أوربيين معاصرين كرسوا جزءا من حياتهم لخدمة التاريخ الإسلامى. وواجهوا بأنفسهم التيار التاريخى الاستعمارى في العصور الحديثة. ومنهم على سبيل المثال : Marcel Emeri Charles - André Julien الذي قام بالتدريس فترة طويلة بجامعة الجزائر ووقّع مع الجزائريين « بيان المثقفين ». ثم ختم حياته بالتدريس في جامعة Lille .

ومن أهم ظواهر هذا التحول، المؤتمرات التاريخية الدولية أو العالمية التي اشترك فيها علماء التاريخ الحديث والمعاصر من العالم الأوربى والعالم الإسلامي جنبا إلى جنب، والتي صدرت عنها بحوث غزيرة عميقة تنم عن هذا التحول، والتي اتخذت صفة تصحيحية، منها :

مؤتمر التاريخ الاقتصادى للشرق الأوسط والذي عقد في لندن يوليه ١٩٦٧، في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية، وممن اشترك فيه الأستاذ الدكتور خليل الساحلى أستاذ التاريخ الاقتصادي بكلية الاقتصاد بجامعة استانبول، والذي أخذ على عاتقه إعادة عرض التاريخ الاقتصادي العثماني عرضاً ممتازاً.

والمؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام من ١٥١٦ - ١٩٣٩م، في ديسمبر ١٩٧١م.

والمائدة المستديرة العالمية حول « الموريسيكيين وزمانهم » والذي نظم هذا المؤتمر هو الأستاذ Louis Cardillac من جامعة Paul Valery ١٩٨١م تحت إشراف المركز الوطني للبحث العلمي بباريس C. N. R. S. وهذا المؤتمر تتمة لمؤتمرات سابقة أسفرت عن تشكيل اللجنة العالمية للدراسات الموريسكية : Comité International d'Etudes Morisques.

مما أدى إلى ثراء وتجديد فكرى تاريخى حول الأندلس.

ومؤتمر الولايات العربية ومصادر وثائقها في العصر العثماني الذي عقد في تونس١٩٨٢م، وكانت لجنة قد تشكلت في بروسه في تركيا في ١٩٧٢م تحت اسم :
Comité International d'Etudes Préo. Ottomannes et Ottomannes.

وعقدت بالتعاون مع معهد الدراسات الشرقية بجامعة نابولى مؤتمرين أحدهما في سراجيفو في يوغوسلافيا، والثاني في هامبورج بألمانيا، ويؤخذ من حصيلة ما نشرته تلك المؤتمرات من بحوث أن هناك اتجاها عالميا معاصرا في علم التاريخ فحواه العودة بالتاريخ إلى شموليته التي كان عليها، واعتباره العلم الشامل لكل الإنتاج الفكرى للبشرية، كما تدل على ذلك تجارب المعهد التطبيقى للدراسات العليا بفرنسا Ecole Pratique des Hautes Etudes والحوليات Les Annales التي تصدر عنه.

ولعل كل هذا يدعو إلى أهمية مواكبة حركة البحث التاريخى العالمى وتطعيم روافده وإثرائه وخلق اهتمامات جديدة تعالج حالة الفقر الفكرى التاريخى (١٧).

قلنا إن من عوامل الاستشراق الجديد اليقظة العلمية الإسلامية المعاصرة، وهذه اليقظة ترد إلى ظهور الدعوة السلفية والتمكين لها في نجد قلب الجزيرة العربية في أواسط العصر الحديث. وإلى ما أسفر عنه ذلك من وجود مدرسة تاريخية سلفية، كان إنتاجها العلمى التاريخى عاملاً من عوامل تأثر الحركات الإصلاحية الأخرى في العالم الإسلامي بحركة التوحيد والإصلاح. هذه الحركات المتأثرة تناولها بالتأليف التاريخى مؤرخون معاصرون كبار عنونوا مؤلفاتهم بأن هذه الحركات : دين ودولة. وجاءت عناوين مؤلفاتهم هذه ردًا على غزو فكرى أوربى في العصر الحديث. وعلى ذلك يكون المعنى التاريخى أنه لا علمانية في الإسلام. ومن ثم انحسرت موجة الغزو الفكرى الأوربى. بل وشهد العالم المعاصر حركة فكرية إسلامية غازية، وتميز الزمن المعاصر بوضوح أكثر في الرؤية وفي الحصانة.

إن العلمانية والحركة الدستورية أو الحكم المقيد في تاريخ أوربا الحديثة كانت حلولاً تاريخية لأوربا المسيحية. لماذا؟

لأن المسيحية نظام روحى لم ينظم للمسيحيين شئون الحكم. وجاء تاريخ أوربا في العصر الوسيط وعصر النهضة صفحة دموية في التاريخ الأوربى. وحاولت أوربا خلال قرنين من الزمان أن تجيب على سؤال فحواه : أيهما أعلى البابا أم الإمبراطور؟ ومن ثم كان الصراع بين البابوية والإمبراطورية. وكانت الحروب الدينية والمذهبية أو الأهلية. فلما كانت أوربا في عصرها الحديث. عصر الكشف والتجارة واتساع العلوم. فقد رأى الأوربيون الأخذ بالنظام العلمانى. ومعناه فصل الدين عن الدولة. تجنباً للأهوال التي شهدتها أوربا في عصرها الوسيط وفي عصر النهضة. الذي يمكن اعتباره فترة الانتقال بين العصرين الوسيط والحديث.

لكن في العصر الحديث اضطرت الطبقة الجديدة. طبقة رجال المال والأعمال التي نشأت بسبب الكشوف وتحويل التجارة العالمية وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر أن تتعاون مع الحكام ضد الطبقة الأرستقراطية الزراعية. التي كانت لها السلطة حين كانت الأرض مصدر الثروة. فلما تجاوز الحكام حدودهم اضطرت هذه الطبقة أن تخوض صراعاً آخر لإصدار دساتير تبين حدود الحاكم والمحكومين.

ومن ثم كانت الحركة الدستورية. أو حركة نظام الحكم المقيد. التي هبت على أوربا من

غربها إلى وسطها وشرقها إبان العصر الحديث. وهذا هو معنى قولنا أنها كانت حلولاً تاريخية لأوربا.

لكن الإسلام دين شامل. نظم للمسلمين كل أمور دنياهم وآخرتهم. وجاء تطبيق النظم الإسلامية في عصر الراشدين صورة مشرقة في تاريخ الإسلام بل وفي تاريخ البشرية جميعاً، وجاء تاريخ الأمويين والعباسيين والعثمانيين في عصرهم الأول شاهدا على شمول الإسلام[١٨]. وصلاحية النظم الإسلامية وكفاءتها لكل زمان ومكان. فنحن لسنا كعالم إسلامي في أى حاجة للعلمانية أو للدساتير الوضعية. وتلك هي الحقيقة التي أخذت ترسخ وتتضح خلال هذا الزمن المعاصر.

وإذا كانت أوربا الحديثة قد تخلت في يوم ما كما أشرنا عما أسميناه تاريخيا الروح الصليبية والحل العسكرى. إلى الغزو الفكرى. فإن العالم الإسلامي في أزمانه المعاصرة ينبغي أن يركز على غزو فكرى إسلامي. وفتح عقلي بكل الوسائل التي يتيحها التقدم الصناعي والتقنى. وأن تسير الرغبة والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية. كحركة داخلية جنبا إلى جنب مع الفتوحات الفكرية والغزوات العقلية كجهد خارجي، وللإسلام كعقيدة هيمنته التي هي أقوى مما يطلق عليه في تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة: ديبلوماسية الذرة.

وإذا كانت العصور الحديثة هي عصر البحرية. مما جعل Mahan مؤرخ البحرية يعطى كتابه الذي ترجمه Boisse من الألمانية إلى الفرنسية. عنوان:
Influence de la Puissance Maritime dans L'Histoire.

وجعل اسماعيل سرهنك يؤلف كتابه المسمى: حقائق الأخبار عن دول البحار. الذي انتهى منه في عصر السلطان عبدالحميد الثاني. فإن الزمن المعاصر هو عصر الطيران. مما حدا بالمؤرخ R. J. Overy أن يعنون كتابه عن الحرب العالمية الثانية بقوله:
The Air War 1939 - 1945.

وإذا كنا قد أوضحنا أن العصور الحديثة أزمنة عالمية. وأنها عصور إسلامية أوربية. فقد تحققت المشاركة الإسلامية في صنع التاريخ المعاصر الذي هو كما قلنا امتداد عضوى للتاريخ الحديث. وتمتد جذور ظواهره فيه. وضربنا على ذلك الأمثلة. بعاملين أساسيين. أحدهما ثبات الدولة السلفية الحديثة في شبه الجزيرة العربية بعد جهاد استغرق قرناً من الزمان وتقدمها

المضطرد في جميع الميادين، وثانيهما قيام منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات النوعية المتفرعة عنها.

والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لم يزحف مؤرخو العصور الحديثة في العالم العربى مع زحف هذه العصور؟ ولماذا لم تزل بحوث التاريخ الحديث تتركز على موضوعات تقليدية. ولماذا تجاهل أهمية التاريخ المعاصر وربط موضوعاته بجذورها في العصر الحديث. مما نتج عنه شبه انفصال عن الواقع؟.

قلنا إن التاريخ الحديث يزحف دائما للإمام ويقتطع من التاريخ المعاصر. وأشرنا إلى أن الحرب العالمية الأولى والثانية كانتا علامتين بارزتين لحدود هذا الزحف والاقتطاع.

فما هي تنبؤات مؤرخ العصور الحديثة والمعاصرة للمرحلة القادمة لاتساع العصر الحديث وتقدم الأزمنة المعاصرة للأمام؟

إن التكافؤ النووى في الزمن المعاصر قد أدى لاستحالة الحرب النووية. وهذا بدوره قد أدى إلى أن الوفاق هو الخيار الوحيد، وهو أسلوب العمل في المجتمع الدولى المعاصر في ظل الرعب النووى، وهذا التكافؤ هو الذي أجبر القوتين على تجنب مخاطر المواجهة، وانقضاء ثلاثين عاما على انتهاء الحرب العالمية الثانية جعل من السهل إشاعة قدر من الثقة في القبول المتبادل للأوضاع التي تمخضت عن توازن القوى بعد الحرب، بمعنى دخول العالم في مرحلة تطور عالمى أجبرت الجميع على التعاون، وعلى مبدأ الأخذ والعطاء وتجاوز الحدود القومية إلى الدائرة العالمية، وإيجاد عالم بلا حرب، والانتقال من عهود العدو المشترك إلى عهد التعاون المشترك، وهكذا أنتجت ديلوماسية الذرة ما سمى في وسائل الإعلام العربية بالوفاق.

إن الحرب العالمية الثانية لم تستكمل بمؤتمر للصلح أو معاهدة للصلح. كما جرى في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ذلك لأن الطرف الغالب انقسم في أعقاب هذه الحرب إلى قسمين أو كتلتين، بينهما تناقض أساسى.

من ثم كان لا بد من بديل لمعاهدة الصلح التي كان يجب أن تعقد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ومؤتمر Potesdam ١٩٤٥ لم يزد عن كونه قد أدى إلى اتفاقية نظمت إزالة الصفة

النازية وانتزاع الروح العسكرية من ألمانيا وتقسيمها، وتنظيم محاكمات نورمبرج، وعدم تقسيم اليابان(٢).

لذلك كان مؤتمر القمة للأمن الأوربى، الذي يعتبر أكبر قمة في التاريخ بوجه عام، وذلك للتوقيع على اتفاقية التعاون والأمن الأوربى، والتي تقضى بالاعتراف بالأوضاع والحدود القائمة في أوربا، والموافقة عليها موافقة جماعية للشرق والغرب، وأعدت خطة المؤتمر فيما يعرف بالسَلاَت الخمس وهي :

الأمن والحدود، والتعاون الدولى، وحرية الفكر وانتقاله، ومتابعة قرارات المؤتمر، والسلة الأخيرة خاصة بالعلاقات مع العالم الثالث الذي يملك المواد الاستراتيجية، وكان انعقاد هذا المؤتمر خطوة لا بد منها لاضفاء الشرعية على جانب من العلاقات الدولية في التاريخ المعاصر.

وفي الثاني من أغسطس ١٩٧٥ تم التوقيع على الوثيقة التاريخية للأمن الأوربى، ولأول مرة اتفقت دول الشرق والغرب معاً على صيغة هامة للسلام كهدف سياسى مشترك، وبدأ عصر جديد يمكن أن نسميه : عصر هلسنكى(٢١).

وعلى أثر ذلك زالت انفعالات الحرب الباردة، وتراخت الأعصاب، ودخل العالم مرحلة انفراج في العلاقات الدولية المعاصرة.

هل هو وفاق أم انفراج؟

إن الكلمة التي وردت في وثيقة المؤتمر Entente فسرها الغرب بأنها تخفيف حدة التوتر، بينما فسرتها الكتلة الأخرى بالتعايش السلمى، الذي هو في الحقيقة تعايش إكراهى، لأن الظروف التاريخية التي أعقبت الحرب الثانية جعلت كلا من القوتين ليست لديها القوة الكافية أو الظروف الملائمة للقضاء على الأخرى، فلا بد لهما أن يعيشا في ظل توازن معاصر أو توازن متغير.

ومع أن هذا الوفاق قد خفف من حدة المواجهة بين القمتين، فهو لم يترتب عليه مثل ذلك في مناطق كثيرة من العالم المعاصر، ولكن جو الانفراج قد ولد دول عدم انحياز في أوربا ذاتها، وترتب على ذلك كله انتقال المواجهة بين الدول المتقدمة والعالم الثالث، لأن الانقسام إلى غنى وفقر بدأ يفرض وطأته بسبب استمرار اتساع الهوة بين الجانبين.

وعلى هذا يمكننا أن نعتبر بدء عصر هلسنكى أو الوفاق نهاية لعصر سابق. وبداية لعصر جديد. وأن الفترة ما بين ١٩٤٥ - ١٩٧٥م في طريقها لأن تتحول إلى تاريخ حديث.

الهوامش

1. Paul Coles: The Ottoman impact on Europe P. 33 - 75, 107 - 153.
2. Jung: Les Arabes et L'Islam en face de nouvelle Croissades. P. 35 - 47.
Sykes: A Hist. of Exploration. P. 80 - 103.
3. The new Cambridge modern Hist. V. 8 Ch. 8: European Relations with Asia and Africa. P. 218 - 251.

(٤) عبدالوهاب منصور : أعلام المغرب العربي جـ١ ص ١٥ - ٨٥.
محمد المنونى : مظاهر يقظة المغرب الحديث جـ١ ص ٣ - ٢٥.

(٥) أحمد مدحت : أسس انقلاب. قسم ثان ص ٣٥ - ٤١.
Alex. W. Hidden: The Ottoman Dynasty Ch. 33 P. 326 - 342.

6. Garnier: La Fin de L'Empire Ottoman. Ch. 8.

7. Barber: The Lords of the Golden Horn, From Suleiman the Magnificent to Kamal Ataturk, Part 2 P. 100 - 110.

8. Shaw: Hist. of the Ott. Emp. and mod. T. V. 2, P. 272 - 339.
Pears E.: Life of Abdul Hamid Ch. 12, 13.

9. Sourdel: La Civilisation de L'Islam Classique Premiere Partie.
Elliot: Hist. of India as told by its own Historians V. 6 P. 1.

(١٠) يقصد مجمع الدول الأوربية الاستعمارية.

11. J. Bandine : Some Account of the trade in Slaves from Africa as Connected with Europe and America. P. 9 - 24, 36 - 56.
The African Slave trade from the fifteenth to the ninteenth Cent. V. 1 & 2.
أنطونيو د. مينغيث. برنارد فينسان : تاريخ الموريسكيين. حياة ومأساة إحدى الأقليات. مجلة أوراق ٢ - ١٩٧٩ ص١٢٦.

12. Chameta: La que se Sabia Sobre et Galfo Arabe en La Peninsala Iberica S. 16y 17.
ما عرف في شبه الجزيرة الإيبيرية عن الخليج العربي. تعريب وتقديم مجلة أوراق ٢ - ١٩٧٩ ص١٣٥.
أحمد محمد عطية : أحمد بن ماجد المعلم والأستاذ والشاعر والفلكي والملاح ورائد علم المرشدات البحرية. مجلة الوثيقة. العدد الثاني. السنة الأولى ربيع الأول ١٤٠٣هـ ص ١٥٦ - ١٧٣.
بول كونتيش : وصف البحرين لأحمد بن ماجد. الوثيقة. العدد ٤ السنة ٢ ربيع الآخر ١٤٠٤هـ.

(١٣) مؤتمر القمة الرابع لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحازة المنعقد بالجزائر ٢ ـ ٩ سبتمبر ١٩٧٣ : البيان السياسى.

14. J. Gunther: Inside Europe Today Ch. 18, P. 237-245.

(١٥) ترجمة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

(١٦) محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم ـ القسم الأول.

(١٧) د. عبدالجليل التميمى : كلمة... المجلة التاريخية المغربية. السنة العاشرة العدد ٢٩ ـ ٣٠ يوليه ١٩٨٣. ص٩ ـ ١١.

18. Lybyer: The G. of the O. E. P. 170 - 230.

20. Churchill: The Second World war. Ch. 37, 38 P. 532 - 555.

المصادر والمراجع

١ ـ اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار. طبعة أولى، بولاق مصر ١٣١٢.
٢ ـ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم. مطبعة نهضة مصر ١٩٦١.
٣ ـ عبدالوهاب منصور : أعلام المغرب العربى، جـ ١.
٤ ـ محمد المنونى : مظاهر يقظة المغرب الحديث جـ ١.
٥ ـ مؤتمر القمة الرابع لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحازة، الجزائر ١٩٧٣ : البيان السياسي.
٦ ـ ترجمة محمد شفيق غربال Carl L. Becker:
المدينة الفاضلة عند فلاسفة القرن الثامن عشر.
٧ ـ نيسا موريس سوزوكى، ترجمة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام : شووا ـ التاريخ الداخلى لليابان.
٨ ـ مجلة أوراق، ٢ ـ ١٩٧٩ يصدرها المعهد الإسبانى العربى للثقافة، مدريد.
٩ ـ مجلة الوثيقة، السنة ١ عدد ٢، ١٤٠٣هـ، السنة ٢ عدد٤، ١٤٠٤هـ.
١٠ ـ المجلة التاريخية المغربية، السنة ١٠ عدد ٢٩ ـ ٣٠، ١٩٨٣.

11. Garnier: La Fin de L'Empire Ottoman. باريس ١٩٧٣م.

12. Jaleé: Le Pillage du Tiers Monde.

13. Jung: Les Arabes et L'Islam en Face de Nouvelle Croissades.

14. Mahan Boisse ترجمة
Influence de la Puissance Maritéme dans L'Histoire.

15. Piatier: Equilibre entre le développement Economique et développement Social.

16. Sourdel D.: La Civilisation de L'Islam Classique. باريس ١٩٦٨م.

17. Tocquville: L'Ancien Régime et la Révolution.

18. Le Monde, Numéros Aug., Sep., Oct. 1975.

19. Bandinel, J.: Some account of trade in slaves from Africa as Connected with Europe and America. لندن ١٩٦٨م.

20. Barber, N.: The Lords of the Golden Horn Part 2.

21. Churchill, W. S.: Second world war. V. 1 - 6.

22. Devereux: The First Ottoman Constitutional Period.

23. Gunther, J.: Inside Europe Today. لندن ١٩٦١م.

24. Hidden, A. W.: The Ottoman Dynasty. نيويورك ١٩١٢م.

25. Elliot: Hist. of India as told by its own Historians V. 6.

26. Lybyer, A. H.: The Government of the Ott. Empire in the time of Suliman the Magnificent.

27. The Air War 1939 - 1945. لندن ١٩٨٠م.

28. Life of Abdul Hamid. لندن ١٩١٧م.

29. Rostow: The Stages of Economic Growth.

30. Sykes: A Hist. of Exploration

31. Shaw: Hist. of the Ott. Empire and Mod. Turkey. V. 2. طبعة أولى، لندن ١٩٧٧م.

32. The New Combridge Modern Hist. V. 14. لندن ١٩٧٨م

● ● ●

أريد رجالا يعملون بصدق وعلم واخلاص، حتى اذا أشكل عليّ أمر من الامور، رجعت اليهم في حله، وعملت بمشورتهم فتكون ذمتي سالمة وتكون المسئولية عليهم وأريد الصراحة في القول ..

«عبد العزيز ال سعود»